الرسالة الأولى

العَالميّة .. وَالشبَاب المسْلم المعَاصِرْ

- العالمية فى نشاطها وتطورها وأثرها السياسى .
- أثر العالمية فى محيط الشباب المسلم المعاصر .
- ماترك الشباب المسلم فى يومه ، من أمسه .
- الشباب المسلم فى غده .

ظاهرة العالمية

أوظاهرة الصهيونية العالمية . وهى ظاهرة الأقلية فى أى مجتمع إنسانى . هى ظاهرة التفوق فى جمع المال واكتنازه ، وظاهرة التفوق فى تحصيل العلم والمعرفة الإنسانية .

فاليهود منذ أن شُرِّدوا من فلسطين بفعل بعضهم ضد بعض ، وبفعل الرومان ضدهم جميعاً اتجهوا إلى شعوب عديدة للاستيطان بينهم . وكان عليهم لكى يعيشوا ويضمنوا مستقبلهم ـ بفعل الغريزة الإنسانية فى المحافظة على البقاء ـ أن يدخروا المال من جانب ، وأن يقبلوا على التعليم ويتفوقوا فيه من جانب آخر .

وهذه وتلك ليست خصيصة اليهود كعنصر . وإنما ما تدفع إليه الغريزة الإنسانية فيمن يحس فى نفسه أنه مهدد بالخطر لانتمائه إلى أقلية ، وبالأخص إذا كانت مفرقة ومستضعفة أو مستذلة .

فاستضعاف الأقلية اليهودية فى كل مكان واستذلالهم من الكثرة التى يقيمون بينها خلقت فيهم جميعاً روحاً موحدة ، متوارثة فى أجيالهم العديدة المتلاحقة . وهى روح الترابط فيما بينهم على أساس من العقيدة اليهودية والعادات والتقاليد التى كانت للمجتمع اليهودى . وبالإضافة إلى الميل إلى جمع المال والاعتزاز به ، وإلى الرغبة فى التعليم والدراسة .

فهذه الروح اليهودية الموحدة هى :

١ـ من جهة : روح محافظة على الدين والتقاليد اليهودية .

٢ـ ومن جهة أخرى : روح ساعية أو روح تقدمية فى جمع المال وكنزه ، وفى التفوق العلمى والفكرى .

وهذه الروح اليهودية الموحدة كانت الطابع فى أى مكان توجد فيه أقلية يهودية فى العالم . وبذلك كانت لها صبغة عالمية ، أى ليست فى مكان دون مكان بل فى العالم كله ، أينما يوجد نفر من اليهود ، قَلَّ عددهم أو كثر .

وعن هذه الروح اليهودية العالمية نشأ التفكير فى « الدفاع عن النفس »

أو فى التعرض لخطر الإبادة أولا ثم للاستذلال والاستضعاف ثانياً ، باعتبار أن اليهود قلة فى كل شعب فى العالم .

ولابد على الأقل لتحقيق هذا الهدف أن تكون هناك فى هذه الشعوب « روح مسالمة » بالنسبة للأقلية اليهودية أو « تعايش سلمى » لليهود بين شعوب العالم .

وطريق هذا الهدف هو دفع الشعوب إلى « العالمية » بدلا من العصبية الدينية أو القومية . . هو دفع الشعوب إلى ما يسمى بـ « الإنسانية » فوق « العنصرية » . سواء أكانت عنصرية الدين أو عنصرية الجنس والقوم .

* * *

• السبيل إلى تحقيق العالمية :

فعملت الروح اليهودية العالمية بما يملك اليهود من طاقات الأموال المكتنزة عن طريق الربا أو طريق الاستغلال السليم أو غير السليم ، وبما تملك كذلك من طاقات الفكر ووسائل الترويج له فى النشر وغيره ، على التخطيط لجمعيات سرية وتمويلها بوسائل مختلفة لخلق « الوعى العالمى » وإشاعته فى كل شعب من شعوب العالم ، ومحاولة التقليل من أهمية الدين أو الجنس فى توجيه الإنسان وفى إتخاذه مواقف معينة فى قضايا عنصرية : دينية أو وطنية ، من زاوية عالمية أو إنسانية .

وكانت أهم هذه الجمعيات السرية هى « الماسونية » ـ البناءون الأحرار ـ نشأت فى القرن الثامن عشر فى لندن ، ثم انتشرت كجمعية دولية فى العالم .

وما يملك اليهود من طاقات المال زاد أمره بعد الثورة الصناعية منذ القرن الثامن عشر ، وزاد نفوذه على التوجيه السياسى والاقتصادى والثقافى فكان « رأس المال » ونظامه فى الحكم ، وكانت « العلمانية » فى صحبته . وهى سبيل آخر لتنمية « الوعى بالعالمية » على حساب الدين والقومية . والدين هو المسيحية أولا وبالذات فى عالم الصناعة ونظام رأس المال ، ثم الإسلام فى

البلاد المستعمرة لحساب الصناعة الأوروبية ورأس المـــال اليهودى المستثمر فى تلك الصناعة .

واتجـــاه « العلمانية » هو اتجاه توجيهى تربوى وثقافى وفكرى ، بينما اتجاه « المـــاسونية » سياسى وعلى مستوى التنفيذ فى الأجهزة المختلفة لأية حكومة فى شعب من شعوب العالم .

وجـــاء القرن التاسع عشر بتفكيره المادى ، وبصناعته المـــادية ، وبنظامه الرأسمالى الاقتصادى وما يتبعه من « علمانية » تعمل فى هـــدوء وتريث على إضعاف القيم الدينية والقومية . ولم ينته هذا القـــرن حتى أصبح تفكير « كارل ماركس » اليهودى لـــه من الأنصار ما يكفى لعقد الندوات العالمية لبحث تنفيذه كمنهج للحياة والسلوك وكأسلوب لنظام حكم .

وعندمـــا بـــدأ شيوع فكـــر « ماركس » وأحس اليهود بقـــوة أثرهـــم على « الوعى بالعالمية » فى مجتمعات البشرية كافـــة ، اجتمع بعض زعمائهم فى مـــدينة « بازل » فى سنة ١٨٩٧ لـوضع هـــدف آخـر لليهود عـــامة بجـــانب « التعايش السلمى » فى العالم ، فوضعوا هـــدف إنشاء « وطن قومى » على « صهيون » وهو التل أو الجبل المشرف على القدس ، ويُرمز به إلى أرض المعاد أو أرض الآباء والأجداد ، أو مملكة الله فى فلسطين .

ومنذ ذلك الـوقت أخـــذت اليهودية العالمية طـــابع الصهيونية العـــالمية . وأصبحت الصهيونية شعاراً على تحقيق الوطن القومى أو إنشاء «إسرائيل» فى فلسطين .

ولكن لكى يتحقق الـــوطن القومي أو يتحقق إنشاء إسرائيل لا تكفى وسائل « العـــالمية » التى سلكتها حتى الآن ، وهى « المـاسونية » و « العلمانية » . لأنها وسائل هـــادئة وبطيئة ، فليوضع تفكير « كـــارل ماركس » الـــراديكالى بالنسبة للـــدين والقومية مـــوضع التنفيذ فى نظـــام حكم سياسى واجتماعى حتى يكون معولا آخر قوياً ، وإن كـــان دموياً ومكشوفـــاً ولا إنسانياً وليتناول طبقة أخرى لا تتناولها العلمانية والماسونية .

لأنـــه إذا كـــان طريق « العلمانية » ينفذ إلى الطبقة الـــوسطى ـ وهى طبقة

البورجوازيين من المثقفين والشباب ـ بحكم أنه اتجاه ثقافى يقلل من شأن الدين فى التربية والتوجيه ، وإذا كانت « الماسونية » للطبقة العليا من السياسيين ورجال الأعمال والفكر ، فطريق الماركسية ينفذ إلى الفلاحين والعمال. وهم أكثر الأفراد فى المجتمع اتصالاً بالإيمان بالله والمحافظة عليه كى يتخلخل هذا الإيمان فى نفوسهم تحت ادعاء : أنهم مستغلون مظلومون ممن يملكون المال ، وأن هؤلاء يستعينون على ظلمهم واستغلالهم بالدين والأخلاق التقليدية . والدين فى ذاته مخدر . والأخلاق التقليدية وضعتها الطبقة البورجوازية لصالح أصحاب الأموال .

وتركيز « الماركسية » على الفلاحين والعمال ليس تركيز عطف وحنان عليهم ، وإنما هو تركيز قصد منه خلعهم من الإيمان بالله وتحطيم القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية فى نفوسهم .

وبهذا تُصَوِّب « الصهيونية » العالمية معول هدم الدين والقيم الأخلاقية عن طريق «الماسونية » إلى طبقة السياسيين ورجال الأعمال والفكر ، وعن طريق العلمانية اللادينية إلى الطبقة الوسطى من المثقفين والشباب ، وعن طريق الماركسية الراديكالية إلى طبقة الفلاحين والعمال . والحكومة العمالية العالمية هى إغراء وخداع للعمال والفلاحين ووسيلة فى الوقت نفسه لإحلال « العالمية » محل الدين والقومية فى نفوس هؤلاء العمال والفلاحين .

وبذلك يسير أخطبوط الصهيونية العالمية عن طريق العلمانية والماركسية فى جميع مستويات المجتمع الإنسانى ـ وهى مستويات الشباب والمثقفين ، والعمال والفلاحين ـ بعد أن يطيح هذا الأخطبوط بمن هم فوقهم ممن يسمون بالرأسماليين والمستغلين ، أو بمن هم من الأشراف والأرستقراطيين .

العلمانية إذن لا تستهدف تنوير الإنسان ، بقدر ما تستهدف إضعاف القيم الدينية والأخلاقية فى توجيهه .

والماركسية الراديكالية لا تستهدف تحقيق العدل الاجتماعى فى توزيع الثروة ، ولا زيادة الإنتاج فيما تملكه الدولة ، بقدر ما تستهدف تحطيم القيم الدينية والأخلاقية والوطنية فى توجيه الفلاح والعامل عن طريق التحكم فى

الاقتصاد القومى . إذ أنها فى المالكية العامة تستهدف الإبقاء على الحرمان والفقر ـ لصالح الحكم الاستبدادى فى تحطيم القيم الدينية والأخلاقية والوطنية .

وتعتبر الصهيونية العالمية ناجحة حتى الآن بالنسبة لهدفها المرسوم . والذى يقيس إذن نجاح العلمانية فى خلق طبقة مستنيرة فى المجتمع الإنسانى يخطئ . وشأنه شأن من يقيس نجاح الماركسية بالإنتاج الاقتصادى فى زيادته وبإعادة توزيع الثروة القومية توزيعاً عادلاً .

واستيلاء الصهيونية العالمية على الاتجاه الرأسمالى العلمانى هو عن طريق رأس المال اليهودى ، بينما استيلاؤها على الاتجاه الماركسى الراديكالى هو عن طريق رجال الفكر ، والأيديولوجية ، والعلم من اليهود .

* * *

● أثر العالمية فى توجيه السياسة الدولية :

ـ إن الصهيونية العالمية ـ وهى الروح اليهودية العالمية التى تتمثل فى السيطرة على التفكير ورأس المال فى العالم ـ دفعت الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة معاً فى مساعدة « تركيا أتاتورك » العلمانية اللادينية واللاإسلامية فى وجودها وتطورها . كى تكون مركزاً ونموذجاً لهدرالقيم الدينية والتحلل منها فى منطقة الشرق الأوسط ، تمهيداً لقيام دولة إسرائيل على أرض المعاد .

ـ ودفعت أيضاً هاتين الدولتين الزعيمتين إلى الاتفاق فى سبتمبر سنة (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) على الحرب ضد هتلر للتخلص من نظامه ومن عدائه لليهود وإثارته موجة العداء ضدهم فى أوروبا وأمريكا مما يشجع على إضعاف فكرة التعايش السلمى لليهود فى العالم ، وهو هدف بجانب قيام دولة إسرائيل على أرض المعاد ، للصهيونية العالمية .

ـ ودفعتهما كذلك للاتفاق فيما بعد الحرب العالمية الثانية على إقامة منظمة عالمية تلحق بها منظمة للعلوم والثقافة والتربية تستهدف تحقيق « الروح العالمية » بين الأمم والشعوب عن طريق العلم والثقافة والتربية .

- ودفعتهما أيضاً للاتفاق عام ١٩٤٨ داخل المنظمة الدولية العالمية على قيام دولة إسرائيل على أرض المعاد ، تحقيقاً للهدف الثانى من أهداف الصهيونية العالمية .

- ودفعتهما كذلك فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ على الاتفاق على قرار مجلس الأمن الذى يسعى لأمن إسرائيل وإزالة العقبات فى حركتها فى الملاحة وفى المنطقة كلها ، بجانب الاعتراف بوجودها وكيانها .

- وما ظهر بين الاتحاد السوفييتى باعتباره زعيماً للكتلة الماركسية العالمية والولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها زعيمة للدول الرأسمالية من خلاف أيديولوجى اجتماعى يدعوَ إلى عدم المهادنة فى مطاردة الأولى للثانية انتهى بتعديل سياسة الأولى وتحول المهادنة إلى « تعايش سلمى » بين الكتلتين .

- وما بدا بينهما من تنافس فى اقتناء الأسلحة الذرية والصواريخ المختلفة المدى مما كلفهما أموالاً طائلة حُرمت منها شعوبهما وشعوب العالم ومما هدد البشرية بالفناء . . . انتهى إلى اتفاق بينهما على عدم استخدام الأسلحة النووية فى حرب قادمة ثم إلى مفاوضة فى مدينة «هلسنكى» على عدم القيام بتجارب أخرى جديدة نووية ، منذ بداية عام ١٩٧٠ .

- وما يبدو الآن من خلاف بينهما على تسوية الوجود الإسرائيلى فى الشرق الأوسط - بعد أن اتفقا على قرار ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ لمجلس الأمن الذى يقضى بالاعتراف بدولة إسرائيل من قِبَلِ العرب ، وبتأمين حدودها وحرية الملاحة لها فى قنال السويس وخليج العقبة - وسينتهى حتماً إلى اتفاق بينهما يؤمِّن وجود إسرائيل ويضمن لها الحركة فى الشرق الأوسط كله .

وتحرص الصهيونية العالمية أشد الحرص على عدم وقوع تصادم مسلح بين الدولتين الكبيرتين ، وإن وقع بينهما احتكاك سياسى .

وما تحرص عليه الصهيونية هنامن عدم وقوع تصادم مسلح بينهما قد يغلبه قانون الحياة نفسه ، وهو قانون المادية فى طغيانها فى المجتمعات البشرية . فالاتجاه المادى يوصل حتماً إلى التفكك والانقسام والخصومة ، وأخيراً إلى الانهيار ، بفعل الأنانية والحرص على اقتناص المتع المادية والاستمتاع بها .. إلى الترف فالعبث .

ومجتمع الماركسية كمجتمع الرأسمالية مادى وسائر فى طريق الطغيان عن طريق الاتجاه المادى ، طالما استهدف كل منهما إضعاف « الروحية الدينية » . أو بالأخرى القضاء عليها فى السلوك الإنسانى ، إما بطريق مقنع كما تفعل العلمانية ، أو بطريق مكشوف يقوم على التحطيم السافر والإرهاب فى تتبع الإيمان بالله .

* * *

وإسرائيل ـ من وجهة منطق الصهيونية العالمية ـ تؤثر فى منطقة الشرق الأوسط الدول « الثورية » على الأخرى التى يسميها « الثوريون » فى هذه المنطقة بالدول « الرجعية » . لأن « ثورية » هذه الدول الثورية موجهة ضد الإسلام وقيمه ومبادئه بحكم الفكر الماركسى الراديكالى الذى تقلده فى نظامه فى الحكم وتحقق هدفه . وهدفه القضاء على الدين والأخلاق والسلوك المقنن للإنسان ، فى أى مجتمع بشرى ، تمهيداً لقيام «العالمية » بين الشعوب والأمم، تلك العالمية التى تحقق بدورها : التعايش السلمى العالمى لليهود ، وتمكين دولة إسرائيل على أرض المعاد من الوجود الدائم المطمئن والحركة الواسعة نحو السيطرة على الاقتصاد العربى والإفريقى والآسيوى .

أما الدول الرجعية فلم تزل تحافظ على « الإيمان بالله » فى صورة ما ، أو تبقى المؤمن على الأقل يمارس إيمانه بدون محاولة لخلخلته أو لإضعافه .

فضمان وجود إسرائيل لا يكمن فى اتفاق بينها وبين الدول التى تحيط بها ، بقدر ما يكمن فى إضعاف قوة الإسلام فى المحيط الذى تعيش فيه . فطالما الروح الإسلامية باقية وقوية فى هذا المحيط فإن أمان إسرائيل من وجهة نظرها ـ وهو فى الواقع كذلك ـ مهدد بخطر يوماً ما .

والدول « الثورية » فى منطقة إسرائيل تعطى الدليل على مايوحى به منطق الصهيونية العالمية من إيثار إسرائيل لها على الدول الرجعية فيها .

فبعض الدول الثورية فى المنطقة تطالب ـ بل وتؤثر من جانبها ـ أن تكون الحرب ضد « الرجعيين » و « عملاء الاستعمار الإمبريالى » لتطهير الأرض العربية منهم أولا وقبل مواجهة إسرائيل .

فإذا طهرت البلاد العربية من « الرجعيين » أى من المؤمنين أو من المحافظين على الإيمان بالله والدعوة إليه ، فماذا يبقى بعد ذلك لمقاومة وجود إسرائيل ؟ أو ليكون خطراً على وجود إسرائيل ؟

أهو الماركسية العالمية التى تتبناها الدول الثورية آنئذ ؟ وليس لها الآن مطلب فى الشرق الأوسط مما يحيط بإسرائيل ، بعد أن كسحت الرجعية الدينية الإسلامية لتحل محلها وبديلاً عنها « العالمية » ؟

أهو القومية ، وقد سقطت بسقوط الدين والتقاليد والأعراف ، وبحلول العالمية كبديل عنها فى المنطقة عندئذ ؟

والاتحاد السوفييتى ـ فيما يظهر به من عطف على العرب فى النزاع القائم فى الشرق الأوسط ـ يعطى الدليل أيضاً على ما يوحى به منطق الصهيونية العالمية من وجوب استقرار إسرائيل على أرض المعاد فى الشرق الأوسط ، عن طريق تحطيم القيم الدينية فى المجال الذى تعيش فيه ، وهى قيم الدين الإسلامى .

فالسوفييت يشجعون الدول الثورية فى هذا المجال ـ وربما يملون عليها ـ ما تتجه إليه من إيثار الحرب ضد « الرجعيين » فى المنطقة على أن تكون ضد إسرائيل .

وهم الذين يشترطون فى السلاح الروسى أن لا يُستخدم ضد وجود إسرائيل .

وهم الذين يشترطون كذلك أن يتخلى الذين يحملونه عن الإيمان بالله أو عن السعى من أجل تحقيق الإيمان بالله فى أية منطقة فى المجال الذى تعيش فيه .

وهم الذين لا يدفعون بسلاح هجومى إلى من يدفعه الموقف من أجل الاحتفاظ بالسلطة أن يشن مرة ما سلاحاً هجومياً ضد إسرائيل .

وهم الذين يحافظون على ما يشترطونه بخبراء يعملون لحسابهم وحدهم عند مبتاعى الأسلحة السوفييتية فى الشرق الأوسط .

وحرب الإذاعة أو حرب الدعاية بين إسرائيل والدول الثورية فى البلاد العربية هى من جانب إسرائيل لتخويف أصحاب نظام الحكم الثورى من تكتلات فى الداخل ضدهم توجدها الدعاية الإسرائيلية ، وبذلك يتشدد أصحاب النظام فى

القبض على الجبهة الـداخلية وبالأخص أصحـاب الميول الـدينية أو الإيمان الدينى فـأصحاب النظام الثورى يخشون فقط عـدوهم الأول فى نظـرهم وهـــم أصحـاب الدين أو المتدينون .

هـذا هــدف للدعاية الإسرائيلية . وهناك هـدف آخر لها ، هو حمل أصحاب الحكم الثورى على «تعميق الثورية » فى الداخل لإيجاد ضمان لبقاء الحكم فى أيديهم ، وهــذا التعميق يكون عن طريق إعـادة تنظيم الحزب السياسى أو عن طريق التوسع فى الـدعوة الماركسية . والتوسع فى هــذه الدعوة هـو زيادة شلل فاعلية الدين وبزيادة اضطهاده .

أما حرب الإذاعة والدعاية لإسرائيل من جانب «الثوريين» فى محيط الشرق الأوسط الــذى يحيط بـدولة إسرائيل فهى للخداع وللإيهام بأن هناك معركة مع إسرائيل يجب أن تجند لها جميع القوى . وفى مقدمة هذه القوى تحمل الحرمان ، والتضحية بالمصالح الخـاصة ، والسكوت عـن نقـد تصرفـات النظـام ضـد من يعتقلون أو يحاكمون سياسياً ، ومساندة النظام مهما كانت المشقة فى مساندته من كبت الحريات واضطهاد بعض الفئات أوالطـوائف ، وتجريح العقيدة ومبادئها فى وسائل الإعلام المختلفة .

ومنطق الطواعية ـ عن شعور أو غير شعور ـ لـروح الصهيونية العـالمية هـو تركيز إسرائيل فى الحرب الإعــلامية على النظم « الثورية » فى محيط الشـرق الأوسط ، وتركيز هذه النظم على إسرائيل ووصفها بأشنع الأوصاف وأكثرها لفتاً لأنظار العامة فى المنطقة .

وحـــرب بين الاتحــاد السوفييتى والـولايات المتحـدة الأمريكية فى الشرق الأوسط لن تقع بسبب إسرائيل ، وإنما الصهيونية العالمية ستحقق لإسرائيل الأمن والاستقرار عن الطريق الماركسى الراديكالى .

فأزمة الشرق الأوسط ليست هى الأزمـة بين إسرائيل والبلاد العربية . وإنمـا هى أزمـــة الإيمان بالله ...أزمـــة الإسلام فى وجـوده وفى بقائـــه فى هـــذه البـلاد .. هى أزمته فى مطــاردته وفى إضعاف الترابط على أساس مـنه فى المنطقة .

فالأزمة باقية ومتحجرة فى ظاهرها بين إسرائيل والعرب ، وفى حقيقة أمرهـا هى بين أمـن إسرائيل ووجـود الإسلام ، حتى يضعف الإسلام بفعـل المطـاردة « الثورية » لقيمه ولمؤسساته ولمبادئه ولرجالـه . وهـذه المطاردة الثورية للإسلام تزداد عن طريق أجهزة الإعلام المختلفة فى النظم الثورية والإجراءات التى تُتخذ ضد الكتاب الإسلامى والمؤسسات والمعاهد الإسلامية والمنظمات الإسلامية .

ومنطق الصهيونية العالمية هو الإبقاء على هـذه المطاردة للإسلام ، بالمحافظة على استمرار هـذه النظـم الثورية فى الحكـم ، وتـوجيه الفـريقين : أصحـاب المـاركسية الراديكالية وأصحاب الرأسمالية العلمانية معـاً ، ليس فقط لصالح إبقاء هـذه النظم فى منطقة الشرق الأوسط بل لقبول المـزيد منها أو للسعى إلى المزيد منها فى هذه المنطقة .

والمتوقع حسب المنطق الصهيونى أن يزداد عـدد نظم الحكم الثورى فى هـذه المنطقة ، وبالتالى أن تشتد المطـاردة للإسلام [1] ، كلما مـر الـزمن على هـذه الأزمـة المحجرة المتحـركـة ، فهى مجمـدة فى وضعها السياسى والعسكرى . ولكنها متحركة بعنف فى وضعها الأيديولوجى ضد الإسلام .

* * *

---

(١) وهنا يمكن أن يفهم لماذا اقترن قيام الانقلاب فى السودان فى ٢٥ مايو سنة ١٩٦٩ بإلغاء الجامعة الإسلامية والمحاكم الشرعية ؟

ولماذا حرم طبع الكتاب الاسلامى فى سوريا منذ انقلاب فبراير سنة ١٩٦٣ ؟

ولماذا يسمح فقط بطبع كتب التراث وحدها فى بقية البلاد الثورية ؟

الفصل الأول

الشباب المسلم اليوم

● ما جد اليوم فى حياة الشباب العالمى :

إن الحيــاة التى يعيشها شباب المجتمعات الإسـلامية فى الـوقت الحــاضر تتميز بمظاهر عديدة :

تتميز بوسائل الاتصال بمـا يحدث بين شباب المجتمعات الأخرى فى العالم ، تحت ظـروف معينة يمليها تطـور هذه المجتمعات . وهى وسائـل الإذاعات المرئية وغير المـرئية (من الراديو ـ والتليفزيون) ، والنقــل السريع للبريد والإنسان فى طريق الطائرة النفاثة . واعتبار « الزمن » و « المكان » كحقائق أصبح فى عالم اليوم بفضل السرعة الفـائقة فى النقـل يكـــاد لا يُعترف بـــه الآن . فـالأقمار الصناعية للاتصال تطـوى البعـــد الشاسع بين مكان وآخر ، وتُقَرِّب الزمن بحيث يبدو عدم التغيير فيه واضحاً فى فروق الوقت .

كما تتميز بالتقـــدم العلمى ، والتكنولوجى ، والصناعى ، والتقـــدم الاقتصادى ، فقد حل عصر جديد هو عصر « الآلية » ، بعد عصر « الآلة » وأصبحت الطواعية للعمل فى مجال واحد تخضع لفرد بدل أفراد ، وأصبحت الثقافة الدقيقة والمعقدة شعار العامل بـــدل العضلات وقـــوة الساعد . وزاد الإنتاج الصناعى فى كميته ونوعه ممـا جعل حياة المجتمعات الصناعية حياة ازدهار وترف . ولكنه حتى الآن لم يقض على الفقر والحــاجة ، وإن كان لم يسخر فى خدمـة القضاء على الفجوة فى مستوى المعيشة بين أفــراد المجتمع الواحـــد ، أو بين المجتمعات بعضها مع بعض ، وذلك بفعل «التخلف» فى مستوى الإنسانية لدى أصحاب هذه الحضارة الصناعية الضخمة .

وتحت عنوان : « بين تكلفة التسلح ، واحتياجات الفقر فى العالم » .
كتب « جيمس ريستون James Reston » [1] :

لكل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى مشاكل اقتصادية داخلية جدية :

- ففى كل منهما ارتفاع فى عدد السكان .
- وفى كل منهما قوة نووية تحطم الأخرى .
- وكل منهما وصل إلى أعلى نقطة فى القوة ، ويقف الآن على حافة الخسارة فى الحرب ، أو رفع نفقات الإعداد للحرب .
- وإن نفقات الأهداف العسكرية فى جميع أمم العالم ارتفعت من ١٣٢ بليوناً من الدولارات سنة ١٩٦٤ إلى ما هو أكثر من ١٨٥ بليوناً من الدولارات كل عام فى الوقت الحاضر . وهذا أعلى رقم فى أى وقت آخر، عدا ما وصل إليه الإنفاق فى قمته فى سنوات الحرب العالمية الأخيرة . وتمثل زيادة قدرها خمسون فى المائة منذ سنة ١٩٦٢ .
- نفقات التسليح العسكرى والزيادة فيها تأخذ من غير شك مكاناً فى ميزانية كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى . وزيادة التكلفة العسكرية فى السنوات الخمس الأخيرة ومقدارها ثلاثة وخمسون بليوناً من الدولارات يتحمل فيها كل من حلف الأطلسى وحلف وارسو بنسبة تسعة عشر فى المائة .

وهذا لا يستتبع أن السرعة وارتفاع النفقات العسكرية لدى الدول الكبرى يقودان بالضرورة إلى الحرب . إذ فى الواقع يمكن أن يقال : « إن عدم الحرب العالمية بين ١٩١٩ - ١٩٣٩ لمدة عشرين عاماً على وجه التحديد سببه أنه لم يكن هناك تعادل فى القوة . بينما التعادل فى القوة ذو النفقات الطائلة بين

---

(١) فى عدد الثلاثاء العشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٦٩ فى صحيفة « هيرالد تريبيون » .

واشنطن وموسكو تجنب الآن حرباً عالمية لمدة أربع وعشرين سنة » (١) .

- ومع ذلك فإن النفقات العسكرية بلغت منتهاها بالضبط فى وقت تدعو الحاجة فيه إلى المال أشد احتياج ، لمعالجة ارتفاع السكان فى العالم .

فكما يلاحظ « روبرت ماكنمارا Robert Mcnamara » فى البنك الدولى : أن انفجارات الانقلاب منذ الحرب العالمية الأخيرة وقعت فى المناطق التى يكون سكانها فقراء وجياعاً .

- إن عدم التوازن المحزن فى العالم اليوم هو بين النفقات فى الأهداف العسكرية والنفقات الأخرى فى الأغراض المدنية . فالنفقات العسكرية العالمية الآن تأخذ سبعة فى المابة من القيمة الكلية لجميع السلع والخدمات فى العالم كل عام . وهذا يساوى الدخل الكلى فى السنة لبليون من السكان يعيشون فى أمريكا اللاتينية وجنوب آسيا ، والشرق الأدنى .

ومن ثَمَّ تميزت حياة المجتمعات الصناعية المعاصرة مع ذلك بالقلق والاضطراب وهو قلق السعى للوصول لمستوى إنسانى فى المعيشة لمن حرموامنه.

واستتبعت هذه الظاهرة ، وهى ظاهرة الرخاء الاقتصادى وفى الوقت نفسه ظاهرة « الحرمان » حرباً باردة تأخذ مرة اسم حرب الطبقات ، وأخرى اسم الصراع الأيديولوجى . وهذه وتلك تعبران عن « الانقسام » فى المجتمعات المعاصرة وراء المجتمعات الإسلامية بين « المستكبرين » و « المستضعفين » وانقسام المجتمع البشرى إلى هذين الصنفين يكون سيطرة « المادية » فى اتجاهها وطغيانها .

والمادية فى آثارها لا تدفع فقط إلى التخريب والحقد والكراهية فى المجتمع، بل تنتهى على المدى البعيد بانهياره وسقوطه الذى لا مفر منه . وسقوط المجتمع المادى بعوامل داخلية ، أو بتصادمه مع مجتمع مادى آخر ينافسه فى الوجود المادى وفى التغلب على مصادر الثروات المادية فى العالم الإنسانى .

---

(١) فى نظرى أن تجنب الحرب العالمية الآن يعود إلى الصهيونية العالمية ورغبتها فى الارتقاء على الكتلتين القائمتين . أما الحرب العالمية الثانية فقد سعت إليها هذه الصهيونية العالمية لتدمير القوة المعادية للسامية وهى قوة ألمانيا الاشتراكية الوطنية .

ـ وبفضل الازدهارالاقتصادى فى المجتمعات الصناعية ـ على الأقل فى حياة مجموعة قل عـــددها أو كثر فى المجتمع ـ تميزت هذه المجتمعات بالإضـافة إلى مـا تقـدم ، بالتراخى بين الشباب ، وباللامبـالاة بالمسئولية الجديدة أو المسئولية الوطنية ، وبالاستجـابة إلى مـا يسمى بدعــوة « السلام العـالمى » والنفرة من المشاركة فى حــرب ساخنة . هى دعـوة يستهدف بهـا بث روح الاستسلام لهوى النفس وشهواتها فى «القعود» وحملها على الاستمتاع بالـوجود الخـاص وتـرك الإسهام فى أى نشاط يعود بالقوة والتماسك على المجتمع .

ـ وعن هذا الازدهار الاقتصادى تكوَّن شعور المرأة بالاستقلال وعدم الحاجة إلى الأسرة أو إلى الرجـل فى الإنفاق عليها . ومارست هـذا الشعور بالاستقلال فى سلوكها وفى مواقفها فى الحياة . وبالأخص فى سلوكها نحـو الـرجل زوجاً أو أباً ، وفى مواقفها من رأيه ونظرتـه إلى الحياة التى أصبحت تعتبرها منتهية بالنسبة إليها . وهنا كـانت ظـاهرة «التحرير» أو «التحرر» التى توليها المرأة العاملة فى المجتمع المعاصر ـ وراء المجتمع الإسلامى ـ انتباهاً وتقديراً خاصاً .

وقـد خرجت بمـا تسميه حركـة تحرير المـرأة عن حـدود المساواة فى الأجور والعمـل ، والحقوق والواجبات فى الحياة المدنية والأسرية إلى المساواة فى إلغـاء آثار الـذكورة والأنوثة على الرجـل والمـرأة . وأصبحت تعطى لنفسها الحـق فى تقليده فيما يلبس أو يصنع فى نفسه ، أو فى تحـويل نفسها من جنس إلى آخـر عن طريق «الهرمون» والعمليات الجراحية المتكررة .

وتتميز حركـة تحرير المرأة المعـاصرة بالسعى إلى تغيير اجتماعى شامل فى الأسرة وفى العلاقة الجنسية .

(أ) فتسعى إلى مساواة الطفل غير الشرعى بالطفل الشرعى ، وقد نجحت فى ذلك فى البلاد الاسكندنافية حتى الآن .

(ب) وإلى عدم اعتبار الزنا سبباً خُلقياً يبرر مسئولية الزوجة فى طلاقها من زوجها ، وقد أُلغى الآن فى الدانيمارك .

(جـ) وإلى إباحة المعـاشرة الجنسية فى غيـر علاقـة زوجية : فى علاقـة

الصداقـة أو فيما يسمى بـزواج المجموعـة (١) ، أو فى تبادل الـزوجات والصديقات ، وإباحة العرى فى المجتمعات العامة (٢) .

(د) وإلى جعل الطلاق حقاً للزوجين وحدهما ، دون تدخل من الـدولة عن طريق القضاء ، وسينفذ ذلك فى السويد ابتداء من عام ١٩٧٢ .

(هـ) وإلى تيسير قيام الزوجية لمن دون العشرين وفوق السادسة عشرة ، بدون الحاجة إلى وصاية الآباء .

وقـد أخـذت حركـة تحـرر المـرأة ـ بسبب الازدهـار الاقتصادى والتطور التيكنولوجى والصناعى ـ طابعـاً متطرفـاً زادت فيه عن معالم التطور ، ودخلت به مجال « ثورة الجنس » .

وهى ثورة تطرح كل التقاليد الماضية المتعلقة بأسرار المرأة وأسرار الرجل فى العلاقة بينهما . فأصبح يباح الآن :

(أ) عرض أفلام الجنس فى توضيح « الجماع » و « الحمل» و «الولادة ».

(ب) ونشر الصور العارية ، وكتب وأفلام الإثارة الجنسية (٣) .

(جـ) وتوجيه الشباب منذ المرحلة الأولى فى المدرسة إلى معرفة « الجنس » من : الولادة ـ إلى الولادة .

---

(١) نشرت صحيفة نيوز أوف ذى ورلد فى عدد ١٢ من فبراير سنة ١٩٦٧ صورة لأعضاء ما يسمى بـ «الأسرة الكبيرة» مكونـة من ثمانيـة أعضاء فى استكهلم بالسويد ، وهى مثل للزواج الجماعى . وظهر فى الصورة أربع من النساء ورجلان . وشعار هـذا الزواج : « ساهم وساهم كأسرة » ورجلان من الرجال الأربعة يشتغلان بالتعليم . والباقيان من رجال الأعمال . ويسكنون جميعـاً فى منزل فى شـارع (Valhallavaegeu avenué) ويعتبرون هـذا الزواج آخر تجربة فى الحياة المعاصرة .

(٢) حكمت محكمـة الاستئناف فى كالفورنيا بإباحـة عرى النصف الأعلى من جسم المرأة التى تعمل فى القهاوى والأنديـة العامـة عند تقديم الخدمـات للزبائن . نقـلاً عن الجريـدة السابقة فى ٦ يونية ١٩٦٦ .

(٣) افتتح أول معرض عالمى للجنس فى كوبنهاجن بالدانيمارك فى ٢١ أكتوبر ١٩٦٩ كما جاء فى جريـدة (Herald tribune) عـدد ٢٢ أكتوبر ١٩٦٩ تحت عنوان : أول معرض عالمى للجنس يفتتح فى الدانيمارك فى زحام شديد .

(د) وإباحة اللواط والسحاق فى قوانين المجتمع ، ويشترط فقط فى إباحة اللواط بلوغ سن الرشد بين الرجلين .

(هـ) وتيسير رعاية الأم فى غير علاقة زوجية ، وتيسير إسقاط الجنين ، وتناول حبوب منع الحمل ، وجواز التلقيح الصناعى من غير ماء الزوج ، بشرط موافقة الزوجين ، وأنشئت الآن على غرار بنوك الدم بعض «البنوك» للاحتفاظ بمنى الرجال ، وبالأخص منى المحاربين فى ميدان القتال . حتى يمكن تلقيح زوجاتهم فى حالة عدم عودتهم لسبب من الأسباب .

وبالإضافة إلى هذه الثورات : الاقتصادية ، والصناعية ، والاجتماعية ، والجنسية ، قامت ثورة أخرى أشد عنفاً على أوضاع الشباب فى العالم ، لأنها تهز القيم الباقية فى نفوسهم وتضعهم فى موقف :« اللامبالاة » و « عدم المسئولية » وعدم احترام أية سلطة للتوجيه . وهى « الثورة الثقافية » .

وقد نشأت أولاً فى الصين الشيوعية لمحاولة خلع الجيل الحاضر والأجيال القادمة من الماضى وآثاره فى التراث الفكرى والحضارى والعقيدى ، خلعاً تاماً ، والتعلق فقط بفكر « ماو تسى تونج » فى الماركسية اللينينية . وتدعو هذه الثورة إلى :

(أ) نبذ الأعراف والعادات والتقاليد فى الأسرة : فى الزواج ، والمعاشرة الجنسية ، والأولاد . فقد نشرت صحيفة « الأبزرفر البريطانية » نقلا عن وكالة الصحافة الفرنسية ـ هجوم « ماو» على حياة الأسرة فى ١٧ديسمبر سنة ١٩٦٧ ما يلى :

« إن حركة النقد لانحدار الأنساب التى أثارتها «الثورة الثقافية » امتدت إلى حياة الأسرة ، كما عرفت اليوم . فصحيفة (Wen hni pao) التى تصدر فى شنغهاى أعلنت هذا فى مقالها بعنوان : « مواجهات نقد الأسرة عمل ممتاز .

ذلك النقد الذى يوجه هجوماً غير مباشر لذلك الموقف الملئ بالاحترام ، الذى لم يزل يقفه كثير من الصينيين تجاه حياة الأسرة .

إن الصحيفة أعلنت أن تبادل الوالدين ، والأطفال أو تبادل الأزواج والزوجات ستكون له نتائج مثمرة ، رغم أنه فى بعض الأحيان يكون مثيراً . ولنأخذ على سبيل المثال حياً من أحياء شنغهاى ـ يقول المقال ـ : إن عاصفة « الثورة العمالية الثقافية » نفذت إلى كل الدروب والأقسام كوحدة تنظيمية اجتماعية أساسية ، بحيث إن الأسرة كسحت بعيداً عنها : المثل القديمة والعادات والتقاليد ، التى خيمت ألاف السنوات على الحياة » .

ولأول مرة تقدم الصينى الشيوعى القديم فى تحطيم هذه المثل والتقاليد والعادات ، وأعاد صياغة الوحدة الأسرية على أسس جديدة .

وقد أكدت الصحيفة ـ فى مقابل الحركات الأسرية السابقة ـ أنه لم يعد هناك الآن مكان « للمثل الميتة » و « الفكر البورجوازية » .

وبناء على ذلك يجب على الأسر أن تتجه إلى فصول الدراسة وتطلب فكر « ماو تسى تونج » . كما يجب أن تعلق صورته فى كل منزل ، وتقرأ كتبه ، وتعنى بفكره .

وفى الأمور الهامة فى الدولة يجب أن تناقش على نحو يكون « تفكيره » صاحب الفضل والرأى الأخير فيها .

ومن حيث الطاعة فى الأسرة يفضل أن يكون الخضوع لأولئكم الذين تتفق تعاليمهم مع تفكير « ماو تسى تونج » بدلاً من الخضوع لبعض الناس الآخرين .

(ب) وجوب تغيير الأسماء التى تدل على ملاك الأراضى أو على الطبقة الوسطى من الموظفين والمثقفين (١) .

(جـ) تحطيم مصادر الحضارة الإنسانية فى : المكتبات ، والمتاحف ، والمعارض ، حتى وقت قيام الثورة الثقافية فى الصين . والإبقاء على كتب « ماو » وحدها .

---

(١) كما جاء فى صحيفة « هيرالد تريبيون » فى ٨ سبتمبر ١٩٦٧ نقلا عن موسكو فى مطالب الحرس الأحمر فى الصين .

(د) الدعوة إلى « الفوضوية » و «التحلل » و « عدم الالتزام » بقوانين المجتمع وما فيه من أعراف بين الأفراد . أى الدعوة إلى انطلاق الأنانية فى غير حدود .

(هـ) إنشاء الفرق المختلفة من الشباب التى تدعو إلى « الانطلاق » وعدم « الالتزام » ومباشرة الرحلات والندوات الصاخبة ، وتدخين الحشيش وأنواع عديدة من المخدرات ، وشيوع فوضى المعاشرة الجنسية بين الغلمان والمراهقات باسم « الجنس من أجل السلام » .

* * *

إن هذه الظواهر غير العادية لشباب العالم اليوم تدل على تمرد غير عادى واختلاف فى فهم الحياة ، وبالأحرى هى أمارات للعودة إلى الحيوانية فى صورتها المكشوفة غير المقنعة .

وهذه الظواهر إن عادت إلى نتائج الحرب العالمية الثانية فإن نتيجة من هذه النتائج تكاد تكون العامل الرئيسى ، وهى « المادية فى طغيانها » إن عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية هو عالم انطلقت فيه المادية مغلفة بلون من الفلسفة أو بآخر ، تسعى إلى تحطيم كل قيد إنسانى فى المجتمعات المعاصرة بقى للحفاظ على قيمة من القيم العليا للإنسان .

والصراع الذي برز على إثر إحراز النصر فيها بين المنتصرين باسم صراع « الأيديولوجيات » وهو صراع تبلور فى مراحله الآن بين كتلتين ماديتين : كتلة الشرق وكتلة الغرب .

والصهيونية العالمية بما أوجدته من فلسفة فى القرن التاسع عشر لنظام اجتماعى ينطوى على الحقد والعداء لنظام تقليدى آخر قوت أواصره الثورة الصناعية فى القرن الثامن عشر من قبل ، كى يستطيع اليهود المشردون فى العالم العيش فى سلام وفى غير اضطهاد بين الشعوب إلى أن يتم لهم إقرار

الوطن القومى بمعاونة النظامين العالميين معاً .. استطاعت أن تجمع الكتلتين فى نظام عالمى موحد بعد الحرب العالمية الثانية هو : « هيئة الأمم المتحدة » لتحريك العالم وتوجيهه لصالح شعب إسرائيل .. « شعب النخبة » بين بنى الإنسان .

إنها إذ تجمع بينهما فى وقت فلمصلحة صهيونية ، وإذ تفرق بينهما فى وقت فلمصلحة صهيونية كذلك . وهدفها الأخير مادى . وثمرته يقتطف أطيبها هذه النخبة من البشر .

فعند اتجاه الاشتراكية الوطنية فى « الرايخ الثالث » فى ألمانيا من سنة (١٩٣٣ ـ ١٩٣٩) إلى اضطهاد اليهود كجنس وعنصر وإلى محاولة إبادة الموجودين منهم فى ألمانيا يومذاك ـ كما يدعى ـ جمعت الصهيونية العالمية بين زعامتى العالم الرأسمالى والآخر الماركسى فى حرب أصبحت عالمية ضد العهد الاشتراكى الوطنى حتى قضت على « الرايخ الثالث » . وهذه الحرب العالمية الثانية بنتائجها الآن غير المعهودة فى المجتمع الإنسانى العالمى فى تاريخه الطويل . سواء فى التطور العلمى والصناعى أو فى التغيير الاجتماعى أو فى إثارة عدم الاستقرار والقلق فى حياة الإنسان .

وبذلك وقت الصهيونية العالمية « شعب اللّـه المختار » من الإبادة أو من الاضطهاد على الأقل . وبهزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية حصل اليهود على حرية كبيرة داخل ألمانيا وخارجها كما حصلوا على نفوذ عالمى أقوى على توجيه السياسة الخارجية للعالم بأجمعه .

وهذا النفوذ هو الذى مهد فيما بعد للاعتراف بدولة إسرائيل من هيئة الأمم المتحدة على أرض المعاد . كما هو ذاته الذى حمل الآن ما يسمى « ألمانيا الغربية » على دفع تعويضات لم يعرفها التاريخ من دولة إلى أخرى لبناء إسرائيل اقتصادياً وصناعياً ، استمرت عدة سنوات .

وعند الاعتراف بإسرائيل اجتمعت الكتلتان فى هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨ وأقرتا الاعتراف بها .

وبعد حرب يونية ١٩٦٧ ، وبعد أن ظهرت نتائجها لصالح إسرائيل افترقت الكتلتان لصالح إسرائيل أيضاً . وإن بدا بعد افتراقهما : أن إحدى الكتلتين تظاهر إسرائيل وأخرى لا تظاهرها ، فالواقع أن هذه الأخرى التى لا تظاهرها تساند إسرائيل أيضاً بطريق غير مباشر ، وهو تمهيد الأرض التى تعيش عليها إسرائيل مع أعدائها لقبول إسرائيل بينهم إلى قرون أخرى عديدة مقبلة وممارسة الصهيونية العالمية من مقرها نشاطها فى اتجاهها المادى العالمى .

والدعوة التى يبشر بها الآن بعض أولياء هذه الكتلة الأخرى بين أعداء إسرائيل فى الشرق الأوسط من أن الحرب التى لا هوادة فيها يجب أن توجه أولا لتطهير الأرض العربية من « الرجعية » ـ أى من الإسلام وأعوان الإيمان به ـ ما كان يمكن أن تظهر فى صورتها المفزعة الآن وما كان يمكن أن يجند لها من المسلحين وغير المسلحين من المسلمين عشرات الآلاف لو لم تظهر هذه الكتلة الأخرى بالخلاف فى الرأى بينهما وبين الكتلة التى تظاهر إسرائيل مباشرة وعلناً .

إن الكتلة التى تخاصم إسرائيل الآن لا ترضى إطلاقاً بزوال إسرائيل وهدم كيانها بعد أن قامت ، لا لخوف من الكتلة المناصرة لإسرائيل الآن ولكن لأن السياسة التى تمليها عليها الصهيونية العالمية باسم النظام الاجتماعى لهذه الكتلة تفرض عليها الدفاع عن إسرائيل : فى وجودها ، وبقائها ، واستقرارها .

وهى ترى أن طريق الاستقرار لدولة إسرائيل هو فى إعلان الصداقة للطرف الآخر والتأثير عليه باسم هذه الصداقة ، وفى إطلاق يدها بعد ذلك فى أن تخلخل القيم القرآنية التى يؤمن بها المسلمون فى هذه المنطقة تحت ستار حرب

«الرجعية » الدينية (١) . وعندئذ يعبد الطريق لاستقرار إسرائيل بنفوذ هــــذه الكتلة السياسى والاقتصادى فى المنطقـة من جـانب ، ثم بضعف الروح الإسلامية آنذاك من جانب آخر . فالروح الإسلامية هى فى الواقع روح الاستقلال ، وروح الشخصية فى وجود أعداء إسرائيل فى هذه المنطقة فإذا ضعفت هـذه الروح كـان الباب مفتوحاً لقبول إسرائيل بإمكانياتها المستمدة وقتئذ من الصهيونية العالمية، بين شعوب منطقة الشرق الأوسط .

والكتلة التى تعلن صداقتها لأعداء إسرائيل فى الشرق الأوسط ـ مع إعلان مخاصمتها لإسرائيل طبعاً ـ هى التى مهدت للوضع القائم الآن بعد حـرب يونية ١٩٦٧ فى المنطقة ، كى تحقق استقرار إسرائيل والتعايش السلمى مـــع جيرانها بالطريق التى تسير فيه الآن .

إن الصهيونية العـــالمية يعنيهـــا فى الـــدرجة الأولى استقرار شعب إسرائيـــل سواء أكان فى الوطن القومى ، أو بين الشعوب فى العالم كله ، دون أن تكـــون هناك إثارة لنزعة معادية لليهودية .

---

(١) إن تصـــدير السلاح من الكتلـة الشرقيـة إلى أيــة جهـــة فى الشرق الأوسط مشروط بشرطين : بالتخلى عن إزالـــة اسرائـــيل من الوجـود ، وكـذلك بالتخلى عن الاتجـاه الإسلامى والقيم الإسلاميـــة . وزيارة رئيس منظمـة « فتح » لموسكو فى فبراير سنة ١٩٧٠ تكشف عن استراتيجية الكتلة الماركسية ـ بتوجيه الصهيونية طبعاً ـ فى إبعاد الإسلام من أرضه تمهيداً لقبول دولـــة إسرائـيل على أرض المعـاد فى تعايـش سلمى فى منطقـة الشرق الاوسط ، دون المساس بوجودها .

والكتلة الشرقية تضمن استخدام أسلحتها المصدرة إلى الشرق الأوسط ضد «الرجعية » فى هذه المنطقة قبل أن توجه إلى إسرائيل ، عن طريق خبرائها أو التعهدات التى تأخذها على الجهة الراغبة فى الحصول عليها .

والتابعون فى منطقة الشرق الأوسط لولاء الكتلة التى أعلنت عداءها لإسرائـــيل من الكتلتين القائمتين بفعل الصهيونية العالمية هم أقرب إلى إسرائيـل منهم إلى الرجعيـة فى هـذه المنطقة . وإسرائيل من جانبها تؤثر هؤلاء التابعين فى بقاء نفوذهم وتوجيههم على من عـداهم ممن يرتبطون بالإسلام فى أخـلاقياتهم ومقاييسهم السياسية والتوجيهية ، وإن حاولت أن تشن بعض الحملات ضدهم من وقت لآخر .

والسبيل إلى ذلك هو إضعاف المقومات التى تحفظ استقلال الشعوب . وأولاها الدين ، ثم القومية . والنظام الذى كان سائداً قبل قيام النظام الماركسى الذى تأسس على فلسفة اليهودى الصهيونى « كارل ماركس » ، وهو النظام الرأسمالى ، رغم « الحرية » الواسعة فى مباشرة رأس المال ، ورغم سيطرة الرأسمالية وأعوانها من اليهود على السياسة والاقتصاد فى كل مجتمع رأسمالى ورغم تشجيعها للاتجاه العلمانى .. هذا النظام لم يكن كافياً مع ذلك لإضعاف آثار الدين والقومية وتحقيق روح « العالمية » بين الشعوب المختلفة، بل ربما كانت لسيطرة اليهود على رأس المال العالمى أثر فى الإبقاء على إيجابية كل من هذين العاملين .

وكانت « الماركسية » طريقاً « متطرفاً » لإزاحة الدين والقومية من طريق العالمية . ومعارضة الفلسفة الماركسية للدين والقومية ليست معارضة موضوعية بقدر ما هى سياسة . والغرض منها تحقيق روح « العالمية » .

واختيار الماركسية لأن تكون « العالمية » «عمالية » كى يبقى مكان لتوجيه الصهيونية خلف الحركة العالمية العمالية . لدى القادة المفكرين الصهيونيين وحدهم ، كما هو الشأن فى توجيه أصحاب رؤوس الأموال من اليهود للنظام الديمقراطى .

وإذا وقع احتكاك أو اصطدام بين كتلتى هذين النظامين فى مجال المنافسة المادية والتوسعات الاقتصادية فى العالم فإن هذا الاحتكاك لا يبقى طويلا ، ويعود الأمر إلى التزاحم أو التعايش السلمى .وشعار «التعايش السلمى »الذى أوجدته سياسة التطبيق الماركسى لمهادنة النظام الرأسمالى هو شعار «المصلحة» بين الكتلتين الذى عملت عليه الصهيونية العالمية لبقاء «الصراع » بينهما أقرب إلى الاستغلال المادى وتوهين القيم الأخلاقية .

والتسابق « النووى » الذى استنفد ـ ويستنفد ـ أموالا طائلة ومجهوداً غير محدود للعلماء وللبحوث التجريبية ، والذى كان يشيع الرعب والقلق فى البشرية طيلة سنوات مضت ، وظن كثيرون أنه سينتهى إلى تصادم نووى يقضى على البشرية وحضارتها. انتهى أمره إلى اتفاق بين النظامين ، وأصبح هذا الاتفاق منذ الرابع من فبراير .١٩٧ موضوع التنفيذ .

والذى استفاد من هذا التسابق النووى هو « مادية » الصهيونية العالمية عن طريق الصناعة فى الأسلحة والعلم فى استحداثها معاً . فرؤوس الأموال فى الصناعة يملك اليهود الغالبية فيها ، بينما علماء اليهود يسيطرون على توجيه البحوث والتجارب ، فى أى من النظامين .

فالكتلتان الشرقية والغربية فى يد الصهيونية العالمية أشبه بفرسى رهان لا يُستغنى عنهما ولا عن واحد منهما ، والذى لا يربح منهما اليوم يُعد لأن يربح غداً .

وأموال المتنافسين فى « حلبة السباق » توزع عليهما وليس من الضرورى أن يكون بالتساوى بينهما ، ولكنها لا تخرج عن دائرتهما .

إن أخطبوط الصهيونية العالمية ليس مبالغاً فيه ، ولكنه الحقيقة التى تدفع الاتجاهات العالمية فى السياسة الدولية فى مدارها المرسوم (١) .

وإذا كان العنصر اليهودى الممثل فى مجال الاقتصاد العالمى وراء النظام الرأسمالى فإن العنصر اليهودى فى ذاته - بنسبة ثمانين فى المائة فى « دعوة الفكر الماركسى » وستين فى المائة فى هيئات التدريس بالجامعات فى الكتلة الشرقية - الممثل فى رجال الفكر وراء سياسة النظام الماركسى .

و « علمانية » النظام الرأسمالى إذا وجهت ضد القيم الدينية والأخلاقية توجيهاً غير مباشر ، وتطرف النظام الماركسى إذا وجه ضدها توجيهاً مباشراً ، فإن أثرهما معاً - بعد أن انطلق النظام الثانى على إثر انتصار اليهودية العالمية على النظام الاجتماعى الوطنى فى ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية - على القيم الإنسانية فى المجتمعات الغربية والشرقية المعاصرة على السواء ، هو ما يجرى اليوم باسم « ثورات » عديدة :

١ - ثورة الجنس . ٢ - ثورة تحرير المرأة .

٣ - الثورة الثقافية . ٤ - الفوضوية واللامسئولية ...

---

(١) حوادث مايو سنة ١٩٦٨ بفرنسا تحت ضغط الرأسمالية ، وحوادث تشيكوسلوفاكيا فى أغسطس سنة ١٩٦٨ تحت ضغط رجال الفكر أيضاً تدل على رد فعل السياسة الفرنسية والاتحاد السوفييتى فى الشرق الأوسط فى قيادة الصهيونية العالمية .

والمجتمع الذى تتأثر علاقاته وقيمه بهذه الثورات هو المجتمع المسيحى والحضارة المسيحية أولا . ويتبع هذا المجتمع فى العالم اليوم المجتمع الإسلامى والحضارة الإسلامية ، وتأثر العلاقات فى أى من المجتمعين إن بدا فى التفكك، وفى شيوع الأنانية والفردية فإنه يبدو أيضاً فى « اللامبالاة » وعدم الاكتراث بين أفراد المجتمع . وهذه الظواهر الاجتماعية هى التى تجعل باب المجتمع مفتوحاً لما يسمى بالتعايش السلمى لليهود بين شعوب العالم ، ولدولة إسرائيل على أرض الآباء والأجداد وأرض المعاد فى منطقة الشرق الأوسط .

أما المجتمع اليهودى فى أى مكان ، وأما دولة إسرائيل فى مكانها المختار فهما بعيدان عن هذا التأثر . إذ وجودهما قوياً هو غاية ، وسيلتها ـ تفكيك الروابط ـ وبالأخص الروابط الدينية والقومية ـ فى المجتمع غير اليهودى ، إما عن طريق المجتمع العلمانى و الرأسمالى أو عن طريق المجتمع الماركسى المتطرف .

إن اليهودية كعقيدة تنطوى على عوامل الفرقة فى ذاتها ... تنطوى على الاتجاه المادى والتأثر به فى سلوك اليهود ، وتنطوى كذلك على روح التفرقة العنصرية ، ليس بين اليهود ومن عداهم ، بل بين يهود الغرب ويهود الشرق فى إسرائيل ذاتها ولكنها فى مواجهة السعى نحو استقرار دولة إسرائيل على أرض المعاد ، ونحو التعايش السلمى ليهود العالم هى العنصر القوى الآن للترابط بين اليهود وتكتيلهم جميعاً لتحقيق هدفهم فى الحياة فى الوقت الحاضر ويستوى فى ذلك يهود الكتلة الشرقية أو يهود الكتلة الغربية .

ومن هنا كان المجتمع اليهودى بعيداً عن التأثر « بالموجات الثورية » وهزتها للقيم الذاتية والإنسانية والأخلاقية فى المجتمعين المسيحى أولا ، والإسلامى ثانياً .. المسيحى العلمانى ، والماركسى المتطرف ، والإسلامى الثورى أو العلمانى كـ « تركيا » .

وبرزت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية مسرحاً زمنياً لأحداث الصهيونية العالمية ونتائجها فى خلق تعايش سلمى ليهود العالم ، وإقامة دولة إسرائيل على أرض الآباء والأجداد ، بفضل التقاء حصيلة كل من النظامين العالميين فى

مصب واحد ، بعد انطلاق النظام الماركسي في حركته لغايته المستهدفة .

والاعتقاد سائد في أن الصهيونية العالمية تحرص على هذا النظام الثاني أكثر من حرصها على النظام الآخر الرأسمالي . لأن فعاليته في إهدار القيم الدينية وإضعاف مقومات القومية - وبالتالي على تعبيد الطريق للتعايش السلمي اليهودي واستقراردولة إسرائيل - أشد وأقوى من أي نظام آخر أو حركة عالمية أخرى سبقته .

فقد وجدت « الماسونية » ووجدت « العلمانية » ولكن تأثيرهما لم يكن فعالاً ، رغم أنهما يحتاجان إلى زمن طويل في تأثيرهما . لأنهما يسلكان إما: طريق الدعوة المسالمة إلى الحركة ، وإما طريق الضغط غير المباشر عن طريق المال .

وأما « الماركسية » فإنها تسلك طريق العنف والإرهاب وإبادة العناصر البشرية في الإنسان من : حرية ، ورأى ، واستقلال ذاتي ، كما تسلك طريق الخداع والتغرير ، أو التزييف في الإعلام .

إن الصهيونية العالمية تفيد الفائدة المادية المرجوة من أي من النظامين العالميين في حكم المجتمعات الإنسانية المعاصرة . ولكنها مع ذلك تفيد فائدة أكثر نحو هدفها من : التعايش السلمي اليهودي العالمي ، ومن استقرار دولة إسرائيل ، من بقاء النظام الماركسي قوياً .

ولـذا ما تبشر به الماركسية من النصر النهائي على النظام الرأسمالي ليس مرجعه إلى صدق ما تدعيه من قوانين اجتماعية وحتمية وقوع نتائجها ، ولا إلى رجحان تفكيرها الفلسفي والأيديولوجي . وإنما لفعاليته بالنسبة لهدف الصهيونية العالمية .

والصهيونية العالمية ليست « جمعية » أو « اتحاداً » عالمياً بقدر ما هي « روح » متوارثة بين يهود العالم ، كونها الاضطهاد المزمن ، والإذلال الطويل المدى ، والقسوة أحياناً ، التي كان يُعامَل بها اليهود الموزعون بين شعوب العالم طيلة قرون عديدة .

وهـذه الروح دفعتهم مرة إلى جمع المال وادخاره ، ثم الدخول به مجال النفوذ في السياسة والتوجيه فكان النظام الرأسمالي .

ومـرة أخرى دفعتهم إلى تحصيل العلم والمعرفـة وإلى دخـول مجال الفكر ، فكان منهم العلماء والمفكرون الذين كسبوا نفـوذاً أدبياً وعالمياً . وبذلك كـانوا وراء النظم الاجتماعيـة التى تدعـو إلى التغيير، وبالأخص وراء تلك التى تدعـو إلى تغيير اجتماعى متطرف كدعوة « الماركسية » ، فكان النظام الماركسى .

وستظل هـذه « الروح » لها دفعها العالمى ، طالما هناك يهود مـوزعون بين شعوب العالم ويستوطنون فيها وأصحاب نفوذ اقتصادى أو فكرى أو علمى فى حياة هـذه الشعوب . ووجود دولـة إسرائيل على أرض المعـاد ـ ولـو مستقرة هـادئة ـ ليس عاملا يدعو إلى جـذب جميع يهود العالم إلى السكنى فى أرض الآباء والأجـداد ، لأن وجـودها فى نظر يهـود العالـم هو مكـان أمين لمن يخاف منهم الاضطهاد فقط فى شعب يستقر فيه ، كما يعبر من جهـة ثانية عن البعث لأمتهم بعد القرون العديدة التى مرت على نزوحهم من هذه الأرض ، سواء بفعل بعضهم ضد بعض ، أو بفعل الأجانب عنهم .

وهكذا :

- الصهيونية العالمية « روح » قبل كل شئ .
- وذات نزعة مـادية جارفة .
- وذات هدف لا تحيد عنه ، وهـو : تحقيق « التعايش السلمى » العـالمى لليهود بين شعوب العالـم ، وقيام « دولة إسرائيل » قـوية ومستقرة على أرض المعاد .
- وذات وسيلة نافـذة لتحقيق هدفها ، هى : تحطيم القيم الـدينية ومقـومات القـومية فى الشعوب المسيحية والإسلاميـة على السواء لضمـان تحقيق الهـدف المنشود . ونتيجة لهذه الوسيلة شيوع الانحلال . واللامبالاة ، وعـدم المسئولية ، والأنانية الفردية .
- وذات فلسفة أو فلسفات تغطى الهـدف الحقيقى ووسيلتـه . فـالوضعية ، والوجودية ، والمادية من أهم مدارسها .

* * *

الفصل الثانى

ماترك للشباب المسلم فى يومه من أمسه

ما تـرك للشباب المسلـم اليوم من أمسـه هــو صورة باهتـة أو ضعيفـة عن الإسلام . فالشباب المسلم اليوم له منطق خاص فى قبول أو فى رفض مـا يعرض عليه ، تكوّن هـذا المنطـق تحت تأثير أساليب الثقافـات العديـدة والمتنـوعــة ، وبالأخص الوافـدة منها . إنـه يعيش فى حياة تكـاد تختلف تماماً عن حياة آبائه وأجداده فى الحضارة الصناعية والآلية ووسائل الخدمات العامة .

والإسلام عندما يُقَدَّم له ، يُعرض فى أسلوب الماضى وحـده . وهـو أسلوب يرتبط أشد ارتباط بتفكير هذا الماضى واتجاهات الحياة فيه . ولـذا يبدو الإسلام غريباً ، أو يبدو فى عزلة عن حياة الشباب المعاصرة .

إن الدراسات النفسية ، والاجتماعيـة ، والإنسانيـة على العموم قـد اتسع اطارها واتصلت بواقع الإنسان والمجتمعات البشرية ، كما زاد استخدام نتائجها أو ما يُسمى بقـوانينها فى إقنـاع الإنسان المعـاصر ، أو فى مخاصمـة الـرأى والحجـة . ومبـادئ الإسـلام يصعب عليهـا فى الـوقت الحاضر أن تمس واقـع المجتمعات الإسلاميـة ـ المتغيرة ـ فى محاولـة لحـل مشاكلهـا التى ليست هى (تلك المبادئ) مسئولة عنها ، إلا إذا مهد لها الطريق فى تحليل هذه المشاكـل أو فى تحليل الواقع الإسلامى للمجتمعات الإسلامية ، بمعونة من تلك الدراسات النفسية ، والاجتماعية ، والإنسانية ..فهذه الدراسات على الأقـل هى دراسـات موجهـة لواقع المجتمع الإنسانى ، قصـد تحليلـه أو تقنينه واستخلاص المعالم المحددة لسيره .

وبجـانب هـذه الصـورة الباهتـة أو الضعيفـة التى يُعرض بهـا الإسـلام من المسلمين للشباب المسلم اليوم ، قـد يقـع نظره على صورة أخرى للإسلام .وهى

صورة مشوهة ، رسمها مفكروالغرب ـ فى شرقـه أو غـربه ـ عنه . والهدف من رسمهم لهذه الصورة المشوهة له هو خلخلة القيم الإسلامية والإيمان بها ، تمهيـداً لتثبيت قيَم أخرى وإيمان بأيديولوجية تختلف عن الإسلام ، مكان قيمه فى نفوس الشباب المسلم اليوم .

وتلك الصورة الضعيفة أو الباهتـة عن الإسـلام من شأنها أن لا تخـلق إيماناً فى نفسه ، فضلا عن أن تزيـد الإيمـان بـه فى نفسه . وهـذه الصـورة الأخـرى المشوهة لـه من شأنها كـذلك أن تزيد فى ضعف إيمانه بالإسلام ، إن لم توح لـه بنفرة منه ، وباتخاذ موقف عدائى تجاهه .

* * *

كما تُرك لهـذا الشباب المسلم المعاصر من أمسه صراع سياسى فى مجتمعاته لا يمـزق وحدتهـا فحسب . بل يُبقى مـع ذلك على التخلف والخرافـة فيها : فـالصراع السياسى يستنفد النشاط كلـه فى اللجاجـة أو فى التوجيـه السياسى من أجل الحكم ، والتسلط عن طريقه ، على الأقل للجاه ، إن لـم يكن لتحقيق أهداف شخصية منه .

والمجتمعات الإسلاميـة المعـاصرة ـ بعـد استقلالهـا السياسى بصكـوك من المستعمر إياهـا ـ لـم تبدأ الطريق السليم فى قيادتهـا ، وهـو الطريق الـذى يأخـذ فى اعتباره تاريخ المجتمع ومقوماته من عقيدة ورسالة لـه منذ قيامه إلى وقت استقلالـه . والاستقلال السياسى لذلك كان فاصلاً زمنياً ، وليس حدثاً فى تغيير اتجاه هذه المجتمعات وتأكيد استقلالها على أساس من العوامـل المشتركة فيها بين الأفراد .

فقد سـارت هذه المجتمعات إما فى نفس الطريق السابق على الاستقلال ، أو انتقلت إلى « تبعية » أخرى . . تبعية اقتصادية واجتماعية وقيادية ، تضاد تماماً تاريخ المجتمع المسلم ومقوماته .

ومن شأن هـذا الاتجاه أو ذاك أن يخلق معارضة ولو مكبوتة لـه وللمسئولين عنه ونظـام حكمهم . فيضطر المسئولون عن النظام إلى الإغراق فى الدفاع عنه ، وتجنيد القوى المادية والبشرية لحمايته أطول وقت ممكن ، بـدلا من أن تُستخدم

هــذه القوى فى التنوير ، والتثقيف ، وفى البناء ، وفى مطاردة التخلف النفسى والاقتصادى .

والشباب المسلم يضطر أن يعيش بين طـرفى هــذه المعارضة السياسية التى تحمل الحقد والكراهية من أحـد الجانبين للآخر ، بعد أن اضطرته ظروف الماضى للمجتمع بالنسبة للإيمان بالإسلام ، وكـذلك ظروف الأحوال العالميـة التى هـزت القيم الإنسانية العليا فى نفسه ، لأن يعيش فيهـا ، حين لـم يعـد يستطيع أن يستخلص له طريقاً فى الحياة ، يجنبه آثار هذ الجو الذى يحيط به وينشأ فيه .

والمعارضة المكبوتـة فى المجتمعات الإسلامية بعد استقلالها قد تجد منفذاً لها فى الانقلابات والمؤامرات ، وقد يصحب دافع الانقـلاب رغبة فى التزاحـم على السلطة لـذات السلطة . وقلمـا تكون هنـاك مصلحة وطنية عليـا تحمـل على الانقلاب أو التآمر .

وشـأن الانقلابـات أن لا تهيئ استقـراراً ، فضـلاً عن البناء ، بل تزيـد فى استنزاف الطاقـات الوطنية : البشرية والاقتصادية منها . لصالح الخـلاف على الحكم والسلطة ، والإبقاء على عوامل الضعف والتخلف .

ولكـى يساعـد الانقلاب نفسـه على الاحتفـاظ بالسلطة لمصلحة شخصية ـ وليس لمصلحـة وطنية عليـا ـ يسعى إلى تبنى بعض الأيديولوجيات التى تنكـر القيم العليا فى السلوك والمعاملة ، وتنكر الدين والمقاييس الأخلاقية فى الحكـم ومباشرة السلطة ، وتروج فحسب للمذلة فى الطاعة . والإكراه فى تبعية القيادة.

وتبنى مثل هذه الأيديولوجيات فى الحكم يوسع الفجوة فى صفوف المجتمع ، كما يثير خصومة الفكر الوطنى له . ذلك الفكر الـذى يستند إلى تراث المجتمع فى ماضيه من حضارة ، وثقافة أو ألوان عديدة فى المعرفة ، وروحية دينية قـام بسببها ويعيش من أجلها .

والمجتمعات الإسلامية قد شهدت قبل الاستقلال السياسى نزاعـاً أيديولوجياً من نوع آخر ، بسبب مزاحمة « العلمانية » التى جلبها المستعمر معه ، للإسلام فى مبادئه ونظامـه الاجتماعى والسياسى . والإسلام لـم يفـرغ بعـد ، حتى بعد الاستقلال السياسى ، من مخاصمة العلمانية وطردها من واقع المجتمع الإسلامى فى أى مكان تشبثت بالبقاء فيه .

وهنا في المجتمع الإسلامي المعاصر يسد طريق أمام الإسلام ـ مع ضعف الصورة التي يعرض بها ـ حتى لا يراه الشباب المسلم في يومه .

خصومة أيديولوجية عنيفة تشترك فيها ضده : العلمانية السابقة على الاستقلال السياسي ، والمادية الإلحادية اللاحقة لهذا الاستقلال .

إسلام ضعيف أو مشوه في عرضه .

وعلمانية متشبثة بمواقعها في نفوس المتتلمذين عليها من قادة الفكر في المجتمع ، وفيما يُحشد لها من طاقات متنوعة .

ومادية جامحة لا تعرف من الإنسانية إلا جسم الإنسان وبدنه ، ولا تعرف من أهداف الحياة للإنسان إلا لقمة العيش التي يتسول من أجلها ، ولامن القوة إلا تلك التي تحمل على الطاعة في نفاق أو إكراه ، وهي قوة صاحب السلطة التي يتسلط بها على من عداه .

... هذه الثلاثة تضع الشباب المسلم في يومه ليس موزعاً عليها فقط ، بقدر ما هو ممزق في نفسه فلا يستطيع أن يستجمع طاقتها ليتبع واحدة منها فيبقى مستسلماً ، ثم يتحول إلى غير مسئول في شعوره ، وإلى عديم المبالاة في مواقفه .

والمادية التي تحاول أن تطغى في توجيهها تربط السلوك الإنساني بالمنفعة المادية وحدها . وهذا يزيد في التحلل من القيم والروابط الاجتماعية معاً . ثم يزيد في الشعور بعدم المسئولية وفي موقف اللامبالاة .وتصبح المصلحة العليا ـ وهي مصلحة الأمة والوطن ـ ليست مصلحة عليا . بل تعلوها مصلحة الفرد ومطالب أنانيته .

* * *

وإذا أضيف إلى طغيان المادية في التوجيه ، وإلى تشبث العلمانية بمواقعها في نفوس بعض قادة الفكر والتوجيه في المجتمع الإسلامي ، وإلى ضعف الصورة أو إلى تشويهها التي يُعرض فيها الإسلام .. تدهور المؤسسات الدينية الذي أصبح ملحوظاً منذ الاستقلال السياسي للمجتمعات الإسلامية فلا يُقبل على الإسلام من الشباب المسلم اليوم إلا من يسلم من تأثره بهذه العوامل السلبية كلها . وأين هو ؟ وكم من العدد تكون جملته ؟

معاهـــد كانت متوفرة على الإسلام فى رعايــة عرضه وصون دراسة مبادئه ، كم تعرضت لهزات ؟

وأوقـــاف خيرة حُبست لصالح الدعــوة الإسلامية وحماية الإيمان بها والمجتمع القائم عليها ، كم بقى منها اليوم ؟

وقضاء على أساس من الفقـــه الإسلامى ، على الأقل فى شئون الأسرة وفى الوصاية على الضعيف ، كيف صار اليوم ؟

وصوت كان يرتفع بالأذان للإسلام وبالإعلام بمبادئه ، أين هــو الآن من صوت المادية أو صوت العلمانية بين المسلمين وشبابهم ؟

فكيف يفكر الشباب المسلم اليوم ؟

إنه فى أزمـة . وأزمتـــه هى أزمـة سلوك ، وأزمة فكر ، وأزمـة توجيه : إنه يوجد فى متاهة الاتجاهات المختلفة . . إنه مشدود ومنجذب ومدفـــوع دائماً إلى ما يعارض بعضه بعضاً ، ويُكَذِّب بعضه بعضاً ، ويخاصم بعضه بعضاً .

إن الحسن أمامـــه ليس متميزاً فى وضوح . وإن القبيح يأخـــذ صوراً عديدة فلا يستطيع أن يقف عند واحدة منها .

إن أزمته أزمة عالمية . وأزمــة أخرى محليــة داخلية فى مجتمعه هــو . وإن كانت العوامــل فيهما واحــدة ، ولكن اختلاف المسرح للآثار ، واختلاف الإخراج لنتائج هذه العوامل يبقى على الفرق بين هاتين الأزمتين .

فالصهيونية العالميــة وراء أزمــة الشباب ، إذ أزمـة الشباب هى أزمـــة فى القيم الإنسانية العليــا ، التى هى قيم الــدين أو قيـــم الــوطن ، وهـــذه القيم الإنسانية العليـــا فى تحطيمهـــا ـ أو على الأقـــل فى التوهين منها ـ هدف هــذه الروح اليهـودية العالميــة التى تسعى لتميت غيرها لتحيا هى ، ولتهدم ما عداها لتبقى فى مأمن من خطر الغير عليها .

لـــاذا تبقى قيم مسيحية وأخـرى إسلاميــة فى مجتمع إنسانى ، ولماذا تبقى قيم وطنية تفصل بين وطن ووطن على أرض معينة ؟

إن بقاء هذه أو تلك هو الخطر ـ اليوم أو غداً ـ على التعايش السلمى لليهود فى العالـم ، وعلى استقرار دولة إسرائيل بعد قيامها على أرض المعاد ، والآباء والأجداد .

فإذا لم ينجح الاتجاه العلمانى فى إبعاد المجموعتين من القيم فى التوجيه المتطور الهادئ ، فلتكن المادية التاريخية « الثورية » التى لا تحفل بقانون طبيعى أو إنسانى هى العامل فى إبعادها لغير رجعة ، أو فى غير بعث لهما من جديد فى زمن مقبل قريب أو بعيد .

إذا لم تنجح الرأسمالية ذات النفوذ على التوجيه فى نظام الحكم القائم عليها فى تحقيق هدف الصهيونية العالمية فلتنجح الماركسية الإلحادية الثورية فى تحقيق هذا الهدف فى نظام الحكم الذى تبناها .

وليس هناك مجتمع إنسانى فى عالمنا المعاصر اليوم لم تنفذ إليه فلسفة العلمانية أو فلسفة الماركسية . ولكن الفارق بين مجتمع وآخر هو فى مدى نفوذ كل من هاتين الفلسفتين وبالتالى فى مدى أثرها فى حياة المجتمع ، وبالأخص فى حياة الشباب المعاصر .

فإذا زحفت على المجتمع الإسلامى اليوم ـ بفعل التقدم الإنسانى فى العلم والتطبيق الصناعى ـ آثار هاتين الفلسفتين فيما وراءه ، فإن هذه الآثار تزحف من خارجه إلى داخله لتُضَم إلى شبيهة لها ، وإن كانت على مستوى ضيق أو ضعيف . ولكنها على أية حال تجد لها قبولا ، يستطيع أن يحرك فى الغد ، إن لم يظهر عامل تحريكه اليوم .

وإذن أزمة الشباب المسلم اليوم هى أزمة التضارب ، والتعارض . . هى أزمة الاختلاف والتخاصم . . وفى الوقت نفسه هى أزمة الناشئ فى ضعفه ، وأزمة صاحب الحاجة إلى قيادة غيره ، وأزمة غير المستقل وغير الرشيد . .أزمة المتردد بحكم مرحلة تطوره . .أزمة القابل للتردى ، وللسمو معاً . .أزمة القابل لتبعية الحيوان ، وقيادة الإنسان كذلك .

إلى أين يتجه الشباب المسلم اليوم بها ؟

كيف ؟ .

وبأية وسيلة يصل إلى هدفه ؟ .

. . . هذه هى مشكلته أو أزمته .

* * *

الفصل الثالث

الشباب المسلم فى غده

إن الشباب المسلم فى وضعه الراهن هو فى حيرة من أمر نفسه ، وفى حيرة أخرى من مستقبله . أما حيرته فى نفسه فلأنه لا يستطيع أن يفيق مما يقتحم عليه نفسه ، بعد أن يطبق على سمعه وبصره ، من اتجاهات فكرية مختلفة ومتضاربة . لا يستطيع أن يقيم أى واحد منها . وكل ما يستطيعه أن يتقبل مؤقتاً نوعاً من هذه الاتجاهات بقوة تأثير الدفع إلى سمعه أو إلى بصره ، حتى يأتى اتجاه آخر يزداد فى قوة تأثيره عما سبقه فيحل محله أو يختلط به .

وهو فى حيرة كذلك من أجل مستقبله ، لا يدرى أين يصل به التضارب فى الاتجاهات التى لا تتوانى عن شده وجذبه ، وأحياناً فى عنف وإكراه .

هل ستتاح الفرصة للشباب المسلم فى غده أن يُحمى من الفكر الدخيل ومن محاولة اقتحام النفس والعقل عليه ؟

إن هذا رهن بتصرفات الحكومات فى المجتمعات الإسلامية فى موقفها مما تدفع به « العالمية » داخلها ، عن طريق العلمانية فى ظل الرأسمالية ، أو عن طريق الراديكالية فى ظل الماركسية .

وتحديد الحكومات فى المجتمعات الإسلامية لموقفها من أى من الطريقين يخضع للبواعث لها على مباشرة الحكم فى هذه المجتمعات . أتعود هذه البواعث لمصلحة وطنية عليا ، أم تعود إلى الاحتفاظ بالسلطة وجاه الحكم والنفوذ ؟

والمصلحة الوطنية العليا يحققها الاستقلال وعدم التبعية لأى اتجاه سوى الاتجاه الذى قام المجتمع على أساس منه . وهو اتجاه الإسلام . فمعنى المجتمع الإسلامى هو ذلك المجتمع الذى يتبنى المبادئ والقيم الإسلامية فى سلوكه وفى سياسته .

إن حماية الشباب المسلم فى غده من التبعية الفكرية والأيديولوجية الأجنبية

هى خطوة أولى فى إعداده لقبول الإسلام والإيمان به فى غده . وليس مطلوباً فى هذه الحماية فرض رقابة دقيقة على تسرب الفكر الأجنبى فى وسائل الإعلام المختلفة ، بقدر ما يُطلب فيها تنحى الدولة عن أن تفرض هذا الفكر الأجنبى ، وتدفع به ، وتصر على شيوعه وحده عن طريق أجهزة الدولة فى الإعلام . ولا تترك مجالا فى هذه الأجهزة للفكر الوطنى أو الإسلامى إلا مجال المنبوذ ، وضعيف القيمة فى وجود المجتمع .

وإذا استجابت الحكومات فى المجتمعات الاسلامية إلى المصلحة الوطنية العليا وإلى حماية الشباب فى غده من الفكر الدخيل ـ وهذا احتمال ضعيف فى الوقت الحاضر لأسباب عديدة ـ فالخطوة التالية لضمان إيمان الشباب المسلم بالإسلام فى غده هى طريقة عرض الإسلام عليه .

والإسلام بمبادئه وقيمه يكوّن نظاماً للحياة ومنهجاً للسلوك والعلاقات فى أمة قوية بسلوكها الإنسانى ، وبمنعتها من الاعتداء عليها . ومن أجل ذلك يمكن أن يُعرض على الشباب فى مجموعات من المبادئ ، كل مجموعة ترسم إطاراً للسلوك ، أو تقدم منهجاً عملياً لقيادة الأسرة والمجتمع على أن يكون ما يُقدم له كفيلا بحل المشاكل التى تواجهه من جانب ، وبإقناعه بأخذ نفسه بما يلتزمه طبقاً للإيمان من جانب آخر .

ومعنى هذا وذاك أن ينزل العرض للإسلام عليه مجال الواقع الذى يعيشه ، وفى مواجهة الفلسفات التى تحاول أن تقتحم نفسه لإقناعه بالأخذ بها ضماناً لحسن السير فى واقعه كما تدعى . كمجال الاقتصاد مثلا . فموقف الإسلام من المال ـ وهو موقف الملكية الخاصة مع المنفعة العامة له ـ يجنب المجتمع الحرمان من جانب ، فى ظل الترف والعبث والفساد عن طريقه . كما يجنبه « التواكل » و « اللامبالاة » و« خفة المسئولية العامة » فى مباشرة المال فى الملكية العامة من جانب آخر .

والنزول بعرض الإسلام مجال واقع الشباب المسلم اليوم يتطلب الوقوف على المذاهب والأيديولوجيات المعاصرة ، ثم من قبل ذلك يتطلب فهم هدف القيم والمبادئ الإسلامية . وهدفها لا يعدو أن يكون استقامة الإنسان كإنسان فى سلوكه ومواقفه فى حياة مجتمعه .

وقد تطلب الأمر فى بعض فترات التاريخ الإسلامى فيما مضى أن ينزل العلماء بالإسلام مجال الواقع فى المجتمعات الإسلامية فى مواجهة الفكر الدخيل من الشرق أو الغرب على السواء ، وأن يقوموا بتوضيح حلوله لمشاكل المجتمع بحيث ينطوى الاقتناع بها على التمسك بالإسلام من جانب ورفض الفكر الدخيل من جانب آخر .

وسير الشباب المسلم اليوم فى حياته على مقتضى إيمانه بالإسلام لا يدفع إليه إلا تحويل العبادات والمبادئ الإسلامية إلى سلوك عملى . . إلا مراعاة التدريب على مباشرة العبادة وعدم التفريط فى أدائها ، على نحو لا يجعلها عادة تُقضى دون استخلاص نتائجها فى حياة الإنسان ككل ، ولا يجعلها أيضاً مستقلة ومنعزلة لا تستتبع آثارها .

فيجب أن يكون أداء الصلاة مستتبعاً للحد من تأثير الاتجاه المادى على من يؤديها فلا يرتكب ـ من أجل الاستمتاع بمتع الدنيا ـ الجرائم الاجتماعية من قتل النفس التى حرَّم الله قتلها إلا بالحق ، ولا يزنى ، ولا يسرق ، فى الوقت الذى يكن مهيأ فيه تهيئة نفسية لمساعدة من يحتاج لمساعدته فى محيطه الذى يعيش فيه .

. . . ويجب أن يكون أداء الصوم مستتبعاً كذلك لآثاره فى حياة الصائم ، ليس فى وقت دون وقت ، وإنما على مدى الحياة التى يعيشها . وهى آثار الإمساك عن اللغو فى القول والزور والكذب ، والسعى بالنميمة والوشاية ، وغير ذلك مما يسئ إلى الذات أو إلى الآخرين فى المجتمع .

وعلى هذا النحو تؤدى الزكاة بحيث تستتبع الإنفاق فى سبيل الله عن طيب خاطر ، ومما يحرص المالك المزكى على اقتنائه .

وأداء الحج لا يستتبع فحسب زيادة الارتباط بالله وبمجتمع المؤمنين ، وإنما يجب أن يستتبع كذلك الوقوف ضد الباطل ، كما توحى بذلك شعيرة رمى الجمار ، ومشاركة الآخرين فيما يملك من متع الدنيا كما تستهدف شعيرة النحر.

وبهذا يمكن للشباب المسلم اليوم أن يُسهم فى بناء مجتمع الغد . يُسهم فى بناء مجتمع إنسانى فاضل ، قوى متماسك فى وجه التبعية للغير ، وضد

الذوبان فى « عالمية » تُجرده من خصائصه وتُعده لأن يكون موضوعاً لاستغلال المادية اليهودية فى غير مقاومة .

وعن طريق بناء المجتمع الإنسانى الفاضل فى غد الشباب المسلم يكون إسهام هذا الشباب فى حضارة إنسانية عالمية ، تختلف عالميتها عن تلك التى تستهدفها الصهيونية العالمية ، لأن عالمية الإسلام تستهدف شيوع القيم الإنسانية العليا فى الاعتبار البشرى ، وفى التعاون ، وفى العلاقات ، بين الناس جميعاً . أما تلك فغايتها إخضاع الشعوب فى العالم لسيادة العنصر اليهودى واستغلاله وتوجيهه لمصلحة اليهود قبل مصلحة غيرهم ولتمكينهم من الاستغلال بأساليبهم الخاصة فى غيبة رقابة الدين الخاص والقومية الخاصة : وهى رقابة توحى على الأقل بالحذر ممن ليس على هذا الدين ، وممن لا ينتسبون إلى القومية .

والحضارة الإنسانية هى حصيلة إنتاج المجتمع الإنسانى فى التفكير والعمل . إن كلاً منها عندئذ لا يكون إلا لغاية إنسانية بعيدة عن الأنانية والأثرة .

* * *

والآن مطلوب كل هيئة إسلامية ، ومطلوب كل مؤمن فى مجتمع إسلامى تحقيقاً لإقبال الشباب المسلم على الإيمان بالله ، هو :

١ ـ أن تعنى الجبهات الرسمية فى المجتمع بالإيمان بالدين ، وتشجع الدولة كل طريق خاص يؤدى إلى تحقيق هذه العناية ، طالما سمحت الدولة فى المجتمع الإسلامى بعد استقلاله السياسى « بتجميع » التصرف فى الأمر والتوجيه فيه بإشرافها وتحت رقابتها وحدها .

٢ ـ كما تعنى بالبناء الاجتماعى وتأسيسه على تربية إسلامية تستهدف مواجهة التخطيط « لعالمية الصهيونية » .

٣ ـ وأن لا تسمح لأجهزة الإعلام الرسمية بمناقضة الدين والتشكيك فى قيمه باسم « الفكر المفتوح » أو بأى اسم آخر . لأن السماح بذلك ينطوى على أن يأخذ التخطيط الصهيونى فى طريقه إلى التحقيق ، دون وعى أو شعور بذلك .

٤ ـ إغلاق باب المجتمع الاسلامى دون تشجيع استيراد أيديولوجيات أجنبية وضعت لمشاكل لا توجد فى مجتمعاتنا الإسلامية ، ودلت التجربة فى تطبيقها هناك فى بيئتها وظروفها على إفلاسها فى علاج ما وضعت لأجله ، بالإضافة إلى ما تخلقه من مشاكل جديدة : اجتماعية واقتصادية .

٥ ـ إعادة تخطيط الدعوة لمبادئ الإسلام ، والنزول بهذه المبادئ مجال «المواجهة» للتحديات التى تحاول أن تتثبت على الأرض الإسلامية وفى قلوب الشباب المسلم .

● إن الأخذ بالإسلام وحده ، كنظام للحياة ومنهج للسلوك ، فى سياسة المجتمع وتوجيهه هو الوقاية له من خطر الصهيونية العالمية .

● وإن بريق الاتجاهات فى الأيديولوجيات الأجنبية هو بريق خادع ... وهو طُعم لإغراء الوقوع فى مخالب الأخطبوط العالمى .

● إن الأخذ بالإسلام ليس معناه العزلة عن الحياة المعاصرة السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية ، وإنما معناه وجود العدة السليمة للقاء ما يحتمل من أخطار أجنبية توجه إلى المجتمع .

● وإن الأخذ بالإسلام كذلك ليس معناه : معاداة العلم والتقدم الصناعى التطبيقى ، وليس معناه أيضاً تجنب الأخذ عن المجتمعات الصناعية المتقدمة الأخرى . بل بالأحرى معناه : الحيطة فى قبول الخبرة العلمية الصناعية وفيما تقدمه المجتمعات الصناعية من مصنوعات لا يتجاوز القيود فيها مجال المبادلات الاقتصادية .

● وإن الأخذ بالإسلام من شأنه أن يكتل ، والتكتل قوة ، ومن شأنه أن يخفف الحقد ، وتخفيف الحقد علاج للضعف فيه .

● وإن الأخذ بالإسلام لا ينطوى على « عنصرية » دينية أو شعوبية ، لأن الإسلام لتوجيه الطبيعة الإنسانية بما لها من خصائص إنسانية ، وليس للسيادة والتمييز .

* * *